

إشكال التعريف بالكلمة بين الدالية والمدلولية

زرقة لطفي هشام

جامعة تلمسان

تلمسان - الجزائر

• الملخص

يهتم هذا المقال بمُدَارَسَةِ إشكال التعريف بالكلمة، ومحاولة استخراج منطق وظيفتها، واقتفاء آثار تكوّنها وارتباطها بغيرها من الكلمات. يأتي كل هذا من وجهة نظر دلالية بحثية، تنتهج السيميائية منهجيتان تعملان بطريقة متكاملة، هما الدّاليّة والمدلولية، وتقصدان الى استجلاء أهم المعانم الخاصة بالكلمة، وكيفية انتظامها في حقل سيميائي معقد. إنّ هذا الأخير يساعد في بناء تعريف للكلمة يعتمد التعريفات المعجمية، ويتجاوزها في نفس الوقت بتشكيل الأبنية المنطقية للكلمة، ووظائفها الخفية.

غالباً ما تعرف السيميائية اللغة بأنها «الدراسة العلمية للمعنى أو الدلالة»⁽¹⁾. إنها مقارنة للغة مهتمة بوجه من وجوها يشكل جانب المضمون فيها بمقابل جوانب الشكل الأخرى الصوتيات (Phonétique)، النحو (Syntaxe)، تحاول استخراج منطقها واقتفاء أثر تكونه وارتباطه. إن هذه المقاربة تهدف إلى التحرّي في بعض جوانبها إلى تجلية المضامين الدلالية لمفردات من خلال التحليل المعنوي (Analyse sémique) الذي أرسى دعائمه برنار بوتّي (B. Pottier) وطوره بعد ذلك أ.ج. كريماس A.J. Greimas و ج. كورتيس J. Courtés في المعجم العقلن لنظرية اللغة.

إنها تعمل غالباً على مستويات ثلاث أساسية: الكلمة، العلاقات بين الكلمات وأخيراً علاقة الكلمة ببنية النص الذي ترد فيه. كل هذا من وجهة نظر دلالية بحثة. إن هذه المستويات التي طورتها سيميائية مدرسة باريس في السبعينيات ظهرت تباشيرها الأولى في «مسائل في اللسانيات العامة» لإيميل بنفنيست E. Benveniste. ونظراً لأهميتها المنهجية سنركز عليها في هذه الدراسة مبررين ذلك بالارتباطات والتلوينات الدلالية التي تأخذها المفردة في أثناء الاستعمال، وهذا النزوع المنهجي ينسجم تماماً مع التحليل المعنوي الذي يأتي عموماً في الامتداد الطبيعي لتوجه بنفنيست الذي يركز على المستويات الآتية:

أولاً: دراسة الكلمة وهو بدوره ينقسم، باعتبار أحادية الدلالة أو تعددها (Polysémie)، إلى دراسة لدلالة الكلمة أو بالأحرى دلالاتها وكذا مباحثة العلاقات الموجودة بينها وكيفية عمل آلياتها في إطار علائقي يصطلح على تسميته بالحقل السيميائي.

ثانياً: دراسة العلاقات بين الكلمات وهذا مجال بحث تتقاطع فيه السيميائية مع المعجمية (Lexicologie)، يتم فيه مقارنة، ليس العلاقة بين دلالات نفس الكلمة، وإنما العلاقات الممكنة بين دلالات كلمات متعددة تجتمع في نسب إحالتها إلى موضوع ما واشتراكها في التعبير المعقد عنه.

ثالثاً: العمل على ارتباط الدلالات من خلال ارتباطها في بنية الجملة. إن هذا المستوى من البحث^(*) هو محاولة لفهم التأثير الذي قد تحدثه العلاقات النموذجية (Relations syntagmatiques) في إنتاج الدلالة أو على الأقل تحديدها.^(**)

1- الكلمة : وحدة دلالية معقدة

إن السيميائية عندما تتعرض لدراسة "الكلمة" فإنها تعتبرها الوحدة الأساسية الأهم في إشكالية الدلالة، فهي ليست فقط اسما، فعلا أو حرفا على شاكلة ما يفعل اللغويون في تقسيمهم لها وإنما هي كذلك، وهذا هو الذي يعنينا هنا، مضمون دلالي معقد تقصد السيميائية إلى مباحثة منطقه وتبسيط الضوء عليه. إن الجوانب الأساسية لهذا المستوى من البحث ثلاثة : (1) إشكالية التعريف بالكلمة أو الوصف السيميائي لها (2) إشكالية تعدد الدلالة للكلمة الواحدة وكيفية انتظامها في حقل سيميائي (3) متعلق بالثاني وهو بمثابة آليته الخاصة به، يتمثل في منهجية العمل على الحقل الدلالي وكيفية إنتاجه أو ما نسميه اليوم بالدالية Sémasiologie.

أ- إشكال التعريف

هو الإشكال الذي يواجهه العاملون على المعاجم في محاولتهم القيام بتحديد دقيق ومفهوم للكلمة. إن التعريف هو محاولة إظهار دلالة كلمة بواسطة غيرها من الكلمات أو هو من وجهة نظر لودفيغ فيدغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) «ربط المفردة المعرفة إلى غيرها من الكلمات»⁽²⁾. أن أكبر مشكل إبستمولوجي يواجه عملية التعريف هو أن الكلمات المعرفة هي كذلك تحتاج إلى تعريف، وهكذا إلى أن يصير الأمر إلى الدور من خلال العود إلى الكلمة المعرفة. يبقى هنا، أن وجهة نظر السيميائية هنا مغايرة إلى حد ما فهي تعتبر أن «الكلمة يمكن أن تعرف بمجموع ملامحها الوجيهة»⁽³⁾.

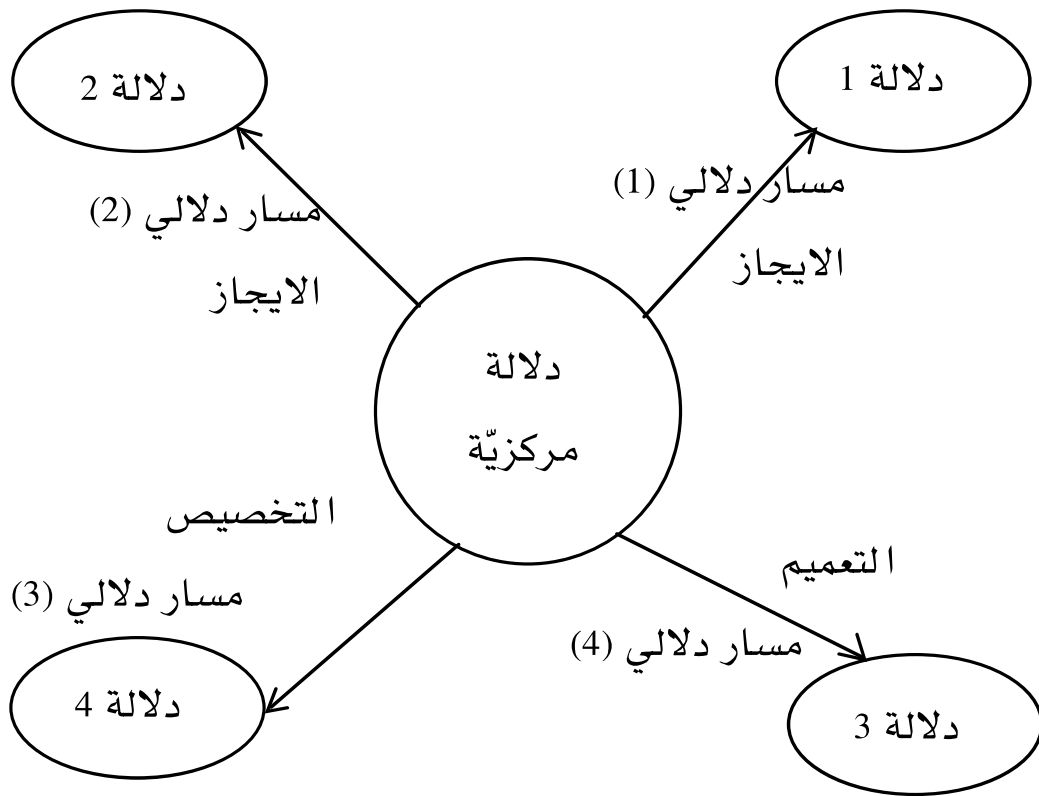
إن إشكال التعريف يزداد صعوبة عندما يتعلق الأمر باسم العلم، وهو يختلف باختلاف وجهات النظر في ذلك بين المناطق مثل فراج Frege، راسل Russell وفلاسفة اللغة مثل سيرل Searle وبقية اللغويين. عند تأمل وجهات النظر المختلفة فإن مدار التفكير فيها حول أمرين أولهما وجود المرجع الخارجي le référent objet وطبيعته، وثانيا طريقة إحالة اللغة والدلالات التي تتضمنها على ذات هذا المرجع.

أما عند الإجابة عن سؤال كيف تعرّف الكلمة؟ تقترح نظريات التعريف وجهتين كبيرتين في التعريف: الأولى تسمى بالتعريفات المرجعية (Définitions référentielles) وتتضمن تعريفات بالتمديد (En Extension)، بالفهم (En Comprehension). أما الوجهة الثانية في التعريف فهي إطنابية (Paraphrastique) فتعتمد قولاً أكثر تفصيلاً يعبر عن دلالة الكلمة وهو كذلك يتضمن أنواعاً كثيرة منها: التعريفات المكافئة (Equivalente)، المتعلقة باسم شامل (Hyperonyme)، أو المجازية (Métonymique)، وأخيراً تلك التي تعمل بالتقريب (*) (Par approximation) يبقى أن المعاجم كثيراً ما تستعمل عدداً من طرائق التعريف للكلمة الواحدة خاصة لتلك التي تتعدد دلالاتها وتتشعب وهو الأمر الغالب، فقلما نجد كلمة ذات دلالة واحدة واضحة وهذه في ذاتها إحدى الوقائع الأساسية التي تميز واقعة الدلالة في السيميائية.

ب- إشكال تعدد الدلالة

عندما تعرف المعاجم مفردة من المفردات فإنها غالباً ما تقدم عدداً من التعريفات والاستعمالات وتحدد لها تراتبية معينة، إما بحسب ما اصطلاح عليه بالمعنى الحقيقي والمعنى المجازي أو تبعا لأسبقية دلالة على أخرى: المعنى الأول/ المعنى الثاني، وهذا من وجهة نظر تعاقبية (Approche Diachronique)، أما في التسمية السيميائية فهي تعتبر أن للكلمة دلالة نموذجية (Prototypique) ودلالات أخرى ثانوية تنتج عنها. المهم هنا أن كلتا الدالتين أو كل الدلالات (في حال تعددها) ترتبط بنفس الكلمة رغم الفوارق التي قد تظهر بينها، وتتضوي تحت نفس العنوان. في هذه الحالة فإن «وحدة أصل الاشتقاق هي التي تقدم لعلماء المصطلح معياراً يخول لهم تجميع العديد من الدلالات تحت نفس المفردة»⁽⁴⁾.

أما عن العلاقات الموجودة بين هذه الدلالات من وجهة نظر سيميائية فإنها تتولد عن الدلالة المركزية وترتبط بها لتشكّل ما يسمى ببنية العبور Structure radiale، يتم ذلك من خلال أربع عمليات هي المجاز، الاستعارة، التعميم وأخيراً التخصيص.



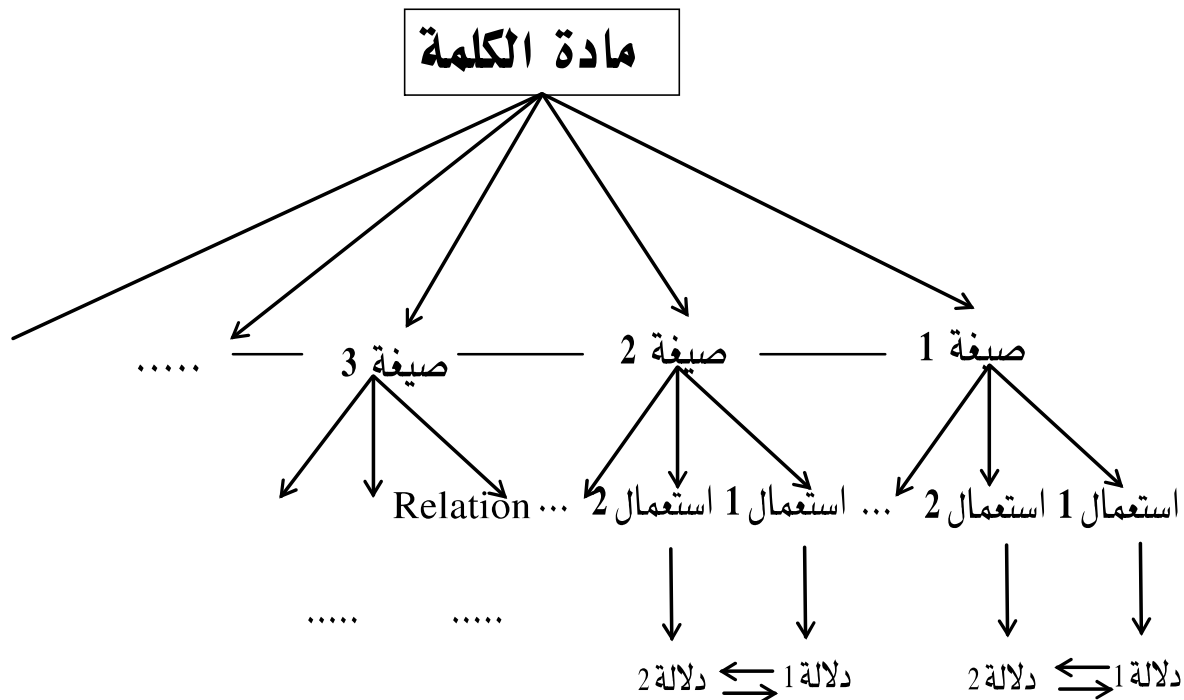
مخطط تولد الدلالات

ج- آلية استخراج الدلالة

أما عن المنهجية التي تتبعها السيميائية لإستخراج بنية العبور Structure Radiale والذهاب إلى فهمها فتسمى الدالية Sémasiologie من اليونانية «Sêma» Signessens وهي «تدرس المفردات من خلال وصف تعدد الدلالات الخاصة بالكلمة وكذا العلاقات بين مختلف هذه الدلالات، وتركز على تحليل روابطها سواء ما تعلق منها بموضوعات العالم أو تلك الخاصة بالفضاء المفهومي. إن الدلالات الأصلية ترتب في هذا الإطار قبل الدلالات المجازية، وبهذا يصبح النظام المتبع في ذلك عاكس الفوارق بين الدلالات الأكثر شيوعاً، الدلالات الأقل شيوعاً وتلك الشاذة تماماً»⁽⁵⁾. إن الدالية هي محاولة تجاوز تفلّت الدلالة وتعدّها، ليس من خلال توحيدها في دلالة كلية وجامعة، وإنما من خلال ربط الدلالات المستعملة في سياقات مختلفة بعضها ببعض والنظر إليها كشبكة معقدة.

أما عند النظر إلى المفردة العربية فإنها تنتمي إلى ما يسميه اللغويون، مادة المفردة والتي هي بمثابة الأصل العام للعديد من الكلمات التي تتغير صيغها الصرفية بحسب واقعة "الاشتقاق" ذلك أنها «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة [...] وطريق معرفته تقلب تصاريف الكلمة، حتى يرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ دلالة إطراد أو حروفاً غالباً»⁽⁶⁾. من وجهة نظر أخرى يصبح الاشتقاق هو الخيوط الرفيعة التي تتعلق من خلالها الكلمة بغيرها داخل إطار دلالي موحد مرده إلى مادة الكلمة باعتبارها النواة الدلالية التي حولها تنظم الدلالات الأخرى.

هناك أمر آخر، في هذا الإطار، تجدر الإشارة إليه هو أن هذه الكلمات تعرّف من خلال صيغها الصرفية فالبناء صرفي يمثل القوالب التي يصب فيها الصرفيون المادة اللغوية ليدلّوا بها على معانٍ معينة ومحددة، لما يدور بخلداهم وما يقصدون إلى إظهاره من أفكار. ولكنها تعرّف أكثر من خلال استعمالاتها داخل سياقاته النصية، فدلالاتها تستنبط من تعلقاتها بمواضيع معينة وبطريقة معينة. وجملة القول وبيانه المخطط الآتي :



1- دراسة العلاقات بين الكلمات : Relation paradigmatique

إن اللغة في جانب من جوانبها تنبني على ممارسة حرة، يختار فيها المتكلم طريقة معيّنة في بناء قوله وذلك بانتقاء ما يراه ضروريا من الكلمات للتعبير. إنشئة في كل لغة العديد من الكلمات التي تتقارب، تتشابه وتتداخل في دلالاتها وتحيل على واقعة واحدة تقصد إلى تبينها وهذا ما تصطلح السيميائية على تسميته بالحقل السيميائي، إنه بمثابة السجل الذي يستغله المستعمل عند إرادته تحقيق أثر من خلال قوله فيختار، من بين الكلمات تلك التي يراها متوافقة مع سياق كلامه وأوقع في أثرها ابتغاء تحقيق مراده.

إن الحقل السيميائي هو «نسق مغلق يعرف باعتباره اجتماع وتقاطع حقل مصطلحات Lexical مع حقل مفهومي يمكن أن يعين بكلمة أساسية. إن الحقل السيميائي هو اجتماع مصطلحات محددة مع كلمة كلية جامعة»⁽⁷⁾ يمكن تصور الحقل السيميائي كارتباط بين من جهة فكرة أو مفهوم أو شبكة عناصر مفاهيمية تحدد ما يسميه فرونساوا راستيني F.

N المجال (Le domain) الذي ينتمي إليه الموضوع، ومن جهة أخرى مجموعة كلمات تتقارب في دلالتها تنتمي إلى عائلة كلمات واحدة على حد قول فيدغنشتاين وتحيل كلها إلى المفهوم أو بعض مكوناته. إن هذا الارتباط ليس من قبيل تصور الشيء ونسخته إنما هو علاقة تشابه غير منظم بالضرورة فمنطق اللغة ليس منطقا رياضيا وإنما هو منطق الاستعمال الذي لا يخلو من الغموض والتداخل المربك.

أما عن منهجية العمل على واقعة الحقل فتخصص لها السيميائية مبحثا خاصا يسمى بالمدلولية Onomasiologie، إنها عملية تنطلق من المفهوم لتحاول اكتشاف منطق الحقل السيميائي. إنها تهدف إلى «نزع الحجاب عن الميكانيزمات التي تؤدي إلى اعتماد كلمات مختلفة من نفس اللغة للتعبير عن نفس المفهوم ... إن الهدف الأساسي للتحليل «المدلولي هو إظهار البنية المضمرّة والخفية لمجموعة من الكلمات المتقاربة مفاهيميا»⁽⁸⁾ من هذا المنظور

يكون الحديث عن الحقل السيميائي من خلال لحظتين اثنتين : الأولى تكمن في تشكيل الحقل الدلالي والثانية تباشر وصف بنيته المضمرة وتقصد إلى إظهارها .

أ- تشكيل الحقل السيميائي

هو بدوره يتم على مرحلتين : الأولى تهدف إلى تحديد الحقل المفاهيمي الذي غالبا ما يمكن النظر إليه باعتباره مستويات دلالية تذهب من العام إلى الخاص . يمكن إحصاء ثلاثة منها أساسية : 1- مستوى كلي عام 2- مستوى قاعدي وسيط 3- مستوى محدد . نجد المفردة المركزية والكلية (Mot générique) داخل المستوى القاعدي التي يقصد إلى العمل على تعريفاتها المعجمية لتتحول إلى مجموعة معانٍ Sèmes في هذه الحالة يتحول العمل على الدلالة من عمل على الكلمة إلى عمل على المعانٍ المرحلة الثانية: يتم القيام فيها بجمع المفردات الخاصة بالحقل المعجمي من خلال علاقتها بالمفردة المركزية، علاقة لا تكون بالضرورة واضحة في كل الأحوال، تتبني على التقارب والتماثل وربما التداخل الذي قد يربط بين هذه الكلمات في الاستعمال العام للغة من اللغات .

ب- وصف الحقل السيميائي

- يتم من خلال تتابع عدد من الخطوات يمكن إجمالها كما يلي :
- جمع تعريفات هذه المفردات والقيام بنفس العمل المعجمي الذي سبق أن قمنا به بالنسبة للمفردة الكلية
- تحديد كل المعانٍ المعرفة لكل مفردة
- الاستفادة من الملامح الإيحائية Traits connotatifs بمقابل المعانٍ الحرفية Dénotatifs. إن الملامح الإيحائية هي عناصر دلالية لا تنتمي للتعريف المباشر، ولكنها ترافقه بغية زيادة التوضيح، أو تقديم أمثلة .
- العمل على الجدول من خلال حذف الخطوط المشتركة والدلالات المتكررة
- إنهاء وصف الحقل السيميائي من خلال ما يسمى التنظيم التراتبي

Structuration hiérarchique وهي بمثابة عملية مقارنة تبحث عن الخطوط الدلالية المشتركة وترتبها من منظور أولويتها، تهدف بذلك إلى إظهار كل الفروق، حتى الصغيرة منها، بين المفردات المتقاربة في الدلالة.

- إنشاء جدول خاص بـ المعانم يكون أساسه الأول المعانم المستخرجة من المفردة الكلية. نقدم كتوضيح لهذه الخطوة الجدول الذي يقدمه ب. بوتتي والحقل المعجمي لـ «مقعد» في الفرنسية

نقدم فيما يلي المعانم الملائمة الخمسة المناسبة للمعانم المركبة التي احتفظنا بها :

م ¹	م ²	م ³	م ⁴	م ⁵	م ⁶
كرسي	+	+	+	-	+
متكأ	+	+	+	+	+
إسكُمة	-	+	+	-	+
أريكة	+	+	-	+	+
نمرق	-	+	+	-	-

م¹ = بالظهر م⁴ = للجلوس

م² = على قدم م⁵ = بالمساند

م³ = لشخص واحد م⁶ = مع مادة صلبة⁽⁹⁾

يبقى أن الدالية والمدلولية تلتقيان في بحثهما عن دلالة الكلمة كل بطريقتها الخاصة فالعلاقة بين المنهجيتين ضرورية ومتكاملة «فكل تحليل لساني يجب أن يتموقع داخل وجهتي النظر هاتين، من وجهة نظر أكثر تحديدا تظن أن كل نسق كلمات يجب أن يأخذ في الاعتبار

- مكانة المفردة داخل المجموع النموذجي المشروط بسياق معين (Onomasiologie)

- الشبكة السيميائية المضمرة لهذه المفردة، باعتبارها «Sémantisme généralisé»

لنفس هذا الشكل.⁽¹⁰⁾

الإحالات

1- C, Baylon et X. Mignot, Initiation à la sémantique du langage, NATHAN, 2000, P1.

(*) نقصر هنا بالإشارة إلى هذا المستوى، إذ أن اشتغالنا لا يكون إلا على المستويين الأولين.
 (***) لا نفرق فيعملنا هذا بين مصطلحي "معنى" و "الدلالة" باعتبار أن ليس ثمة اتفاقاً على تفريق واضح بينهما.

2- H. J.Glock, Dictionnaire Wittgenstein, Gallimard, 2003, P171.

3- M, Galmich, Sémantique générative, Librairie Larousse, Paris, 1975, P20.

(*) للاطلاع على الموضوع يمكن للقارئ أن يرجع إلى الفصل الخامس من كتاب

C, Baylon et X. Mignot, Initiation à la sémantique du langage, NATHAN, 2000.

4- C, Baylon et X. Mignot, Initiation à la sémantique du langage, NATHAN, 2000, P 91.

5- N. Delbek, Linguistique cognitive, Debboeck, 2ed 2006, P 134.

السيوطي، المزهر في علوم اللغة، دار الجيل، بيروت، ص 346.

7- B. SCHWISCHAY, Syntaxe du français, P1 <http://www.home.uni-asnabrueck.de/Bschwisc/archives/archives/htm>.

8- P. Charaudean, L'analyse lexico-sémantique - recherche d'une procédure d'analyse I -, in cahiers de lexicologie, volume XVIII, P3 - P28, Didier Larousse, Paris, 1971, P07.

9- Anne Hénault, Les enjeux de la sémiotique, PUF, Paris, 1993, PP 52-53

ترجمة رشيد بين مالك، مخطوط قيد الطبع ، ص 33-34.

10- P. Charaudean, L'analyse lexico-sémantique - recherche d'une procédure d'analyse I -, in cahiers de lexicologie, volume XVIII, P3 - P28, Didier Larousse, Paris, 1971, P 10.